المشكل القرآني المتعلق بالسياق
في تفسير البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)

الباحث/ أبو علوي ضاحي عبد الرؤوف
إشراف
دكتورة/ هدى حسن صديق

المستخلص:

يناقش هذه البحث موضع المشكل القرآني في تفسير البقاعي والمتعلق بموضوع **السياق القرآني**، وقد اعتنى الإمام البقاعي عناية بالغة بموضوع مشكل القرآن الكريم المتعلق بالسياق في تفسيره، وبذل جهدا كبيرا في دفعه عن طريق ذكر الكثير من الآيات والأحاديث التي تدفع ذلك التناقض والاختلاف بما يثبت في النهاية أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم خبير

الكلمات المفتاحية: مشكل، المتشابه، السياق، البقاعي.

Abstract:

This research discusses the issue of the Qur'anic problem in Al-Buqa'i's interpretation, which is related to the issue of the Qur'anic context. Imam Al-Biqa'i paid great attention to the issue of the problem of the Holy Qur'an related to the context in his interpretation, and he made a great effort to address it by mentioning many verses and hadiths that push away that contradiction and difference, proving in the end that the Holy Qur'an is a revelation from an expert wise man.

Keywords: problem, similarities, context, Bekaa.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد،،،

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله بالحق وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور؛ لأنه منبع الهداية ومعلم الرشاد ومعجزة الإسلام الخالدة، ولذا عكف العلماء على دراسته وتفسيره حتى بلغوا مكانا عظيما في فهم ما أشكل على بعض الناس، واستخراج أسراره البلاغية وكنوزه المعنوية، وبذلوا في ذلك النفيس والغالي وأفنوا أعمارهم في تحقيق هذه الغاية المنشودة.

وقد نال مشكل القرآن الكريم اهتمام العلماء قديما وحديثا، وأخذوا في دراسته وتحليله ، ووقوع الإشكال في تفسير الآيات أمر نسبي، فقد تشكل الآية على بعض الناس، ولا تشكل على آخرين، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى الاهتمام بهذا الفن، والناظر في مدارس المفسرين يرى من محققيهم اعتناء بهذا الجانب في تفاسيرهم، ومن هذه التفاسير التي عنيت بهذا الجانب تفسير البقاعي؛ لذا اخترت أن يكون موضوع بحثي بعنوان(مشكل القرآن المتعلق بالسياق في تفسير البقاعي)

أسباب اختيار الموضوع:

١ــ عناية تفسير البقاعي بمشكل القرآن تظهر في الكثير من مواضع الآيات.

٢ــ دراسة الآيات المشكلة والمتشابهة لها أهمية بالغة لكونها من أعظم سبل الدفاع عن القرآن الكريم، وبيان عظمته والدعوة إليه.

٣ــ لم أجد في أثناء بحثي في مصادر البحث المختلفة دراسة سابقة تكشف عن توجيه مشكل القرآن في تفسير البقاعي.

منهج الدراسة:

اعتمدت في دراستي على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع ما ذكره الإمام من توجيه لبعض الآيات المشكلة مع عقد موازنة بين أقواله وأقوال المفسرين في هذا التشابه.

إجراءات البحث:

ــ أما طريقة دراسة المواضع فهي كالآتي:

أــ ذكر الألفاظ التي فيها تشابه.

ب ــ توجيه قول الإمام في تلك المواضع.

ت ــ عقد موازنة بين قول الإمام في مواضع التشابه والاختلاف وأقوال المفسرين.

ج ــ عزو الآيات القرآنية في الهامش بذكر اسم السورة ورقم الآية.

د ــ تخريج الأحاديث النبوية وبيان الصحيح منها والضعيف والموضوع.

ه ــ ترجمة الأعلام غير المشهورين.

خطة البحث: أما عن خطة البحث فإن هذا البحث يتكون من مقدمه ومبحثين وخاتمة تعتمد علي اهم النتائج والتوصيات التي توصل اليها البحث

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بمشكل السياق القرآني

المطلب الأول: التعريف بالسياق القرآني

المطلب الثاني: أهمية السياق في فهم المعنى وتعيين المراد

المطلب الثالث: أنواع السياق في القرآن

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لمشكل السياق في تفسير البقاعي

المبحث الأول: التعريف بمشكل السياق القرآني

وفيه:

المطلب الأول: التعريف بالسياق القرآني:

أولا: السياق لغة:

أصل لفظة (سياق) هو: سواق، فقلبت الواو ياءً لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق[١]

قال ابن فارس –رحمه الله– : "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو: حدود الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسَّيِّقة: ما استيق من الدواب، ويقال :سقت إلى امرأتي صداقها، وَأَسَقتُه. والسُّوق مشتقة من هذا؛ لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الإنسان ينساق عليها[٢]

وقال الجوهري–رحمه الله– :"يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد: أي بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جارية، والسياق نزع الروح، يقال: رأيت فلاناً يسوق: أي ينزع عند الموت[٣]

وقال الزمخشري–رحمه الله– : "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده[٤]

تبين مما سبق أن للسياق عدة معان منها: نزع الروح، والمهر، وأسلوب الكلام، والبعث والإرسال والتتابع، ويعنينا من هذه المعاني الكثيرة معنى واحداً وهو أسلوب الكلام.

ثانيا: السياق في الاصطلاح: اختلف الباحثون في تعريف السياق اصطلاحا، بحيث أن السياق محصور على المقال دون الحال أو مشمول كليهما، أي: تشمل على المقال، وتشمل أيضا على الحال "المقام

يرى بعض الباحثين أن دلالة السياق القرآني مقصورة على المقال دون الحال، وهو ما يسميه أهل اللغة ب "السياق اللغوي

يعرِّف الشيخ/ عبد الحكيم القاسم –وفقه الله– السياق بأنه: "تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده. ويعرف دلالة السياق بأنها: "فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده

ويعرف دلالة السياق في التفسير: "بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له" [٥]

ويعرف الباحث/ د. المثنى عبد الفتاح محمود السياق القرآني بأنه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال[٦] ويُعَرِّف الباحث/ فهد بن شتوي الشتوي –رحمه الله– السياق بأنه:

"الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع [٧]وعرفه الباحث/ د. محمد الربيعة–وفقه الله–بأنه: "الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية[٨]

المطلب الثاني: أهمية السياق في فهم المعنى وتعيين المراد

إن معرفة "السياق" ركن أساسي في فهم الكلام، وبيان المراد المتكلم منه، ولا سيما في نصوص الكتاب والسنة التي هي مرجع الشريعة، ومناط الأحكام. فالسياق هو الميزان الذي ينضبط به التوافق بين النص الشرعي ومراده، والترجيح بين الأقوال المختلفة، ومنع الأوجه البعيدة.

وقد اهتم بهذا السلف فكانوا لا يجيزون التفسير قبل النظر في سياق الكلام، قال مسلم بن يسار: "إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده[٩]

وقال الزركشي: "أما دلالة السياق فإنها ترشد الى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظراته، وانظر الى قوله تعالى: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴿٤٩﴾ ﴾ ، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير[١٠]

وجعل الشاطبي مراعاة السياق مظهرا من مظاهر الاعتدال في التفسير المفضي الى الفهم السليم، حين قال: " فلا محيص للمتفهم عن آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه، فلا يتوصل به الى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض

قال الشيخ ولي الله الدهلوي –رحمه الله– : "ولا بد للمفسر العادل أن ينظر الى شرح الغريب نظرتين، ويزنه وزنا علميا مرتين: مرة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه من وجوهها أقوى وأرجح. ومرة ثانية في مناسبة السابق اللاحق بعد إحكام مقدمات هذا العلم، وتتبع موارد الاستعمال، والفحص عن الآثار، حتى يعلم أي صورة من صورها أولى وأنسب[١١]

المطلب الثالث: أنواع السياق في القرآن:

السياق القرآني له أنواع، وقد حرر هذ ا التنوع في السياق القرآني صاحب كتاب "دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم" فقال: "السياق قد يضاف الى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف اليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد الى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف اليه، بمعنى أن هناك: سياق آية، وسياق النص، وسياق

السورة، والسياق القرآني فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى[١٢]

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لمشكل السياق في تفسيره:

١ــ قوله تعالى:" ﴿ **وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[١٣]وقوله تعالى﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[١٤]

نص الإشكال:

قال البقاعي:" (**اهْبِطُوا**)وفي ذلك لطف لذريته بالتنفير من الخطأ والترهيب الشديد من جريرته والترغيب العظيم على تقدير الوقوع فيه في التوبة والهبوط.

قال الحرالي: سعى في درك والدرك مَا يكون نازلاً عن مستوى، فكأنه أمسك حقيقته – أي آدم – في حياطته تعالى وحفظه وتوفيقه لضراعته وبكائه وسر ما أودعه من أمر توبته؛ وأهبط صورته ليظهر في ذلك فرق ما بين هبوط آدم وهبوط إبليس على ما أظهر من ذلك سرعة عود آدم توبة وموتاً إلى محله من أنسه المعهود وقربه المألوف له – من ربه، وإنظار إبليس في الأرض مصراً منقطعاً عن مثل معاد آدم لما نال إبليس من اللعنة التي هي مقابل التوبة[١٥]

تحرير محل الإشكال:

أن جمع الضمير في قوله تعال:" اهبطوا" قيل: لأن هبوط آدم وحواء، اقتضى أن لا يوجد نسلهما في الجنة، فكان إهباطهما إهباطا لنسلهما، وقيل الخطاب لهما ولإبليس"[١٦]

دفع الإشكال:

فالوجه على تقدير أن تكون إعادة اهبطوا الثاني لغير ربط نظم الكلام أن تكون لحكاية أمر ثان لآدم بالهبوط كيلا يظن أن توبة الله عليه ورضاه عنه عند مبادرته بالتوبة عقب الأمر بالهبوط قد أوجبت العفو عنه من الهبوط من الجنة فأعاد له الأمر بالهبوط بعد قبول توبته ليعلم أن ذلك كائن لا محالة لأنه مراد الله تعالى وطور من الأطوار التي أرادها الله تعالى من جعله خليفة في الأرض وهو ما أخبر به الملائكة.

وفيه إشارة أخرى وهي أن العفو يكون من التائب في الزواجر والعقوبات. وأما تحقيق آثار المخالفة وهو العقوبة التأديبية فإن العفو عنها فساد في العالم لأن الفاعل للمخالفة إذا لم ير أثر فعله لم يتأدب في المستقبل فالتسامح معه في ذلك تفويت لمقتضى الحكمة، فإن الصبي إذا لوث موضعا وغضب عليه مربيه ثم تاب فعفا عنه فالعفو يتعلق بالعقاب وأما تكليفه بأن يزيل بيده التلويث الذي لوث به الموضع فذلك لا يحسن التسامح فيه ولذا لما تاب الله على آدم رضي عنه ولم يؤاخذه بعقوبة ولا بزاجر في الدنيا ولكنه لم يصفح عنه في تحقق أثر مخالفته

وهو الهبوط من الجنة ليرى أثر حرصه وسوء ظنه، هكذا ينبغي أن يكون التوجيه إذا كان المراد من اهبطوا الثاني حكاية أمر ثان بالهبوط خوطب به آدم[١٧].

٢ــ قوله تعالى﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴿٥٩﴾ ﴾[١٨]

نص الإشكال:

قال البقاعي:" في أن كلاً منهما أبدع من غير أب، بل أمر آدم أعجب فإنه أوجده من غير أب ولا أم، ولذلك فسر مثله بأنه **(خَلَقَهُ)** أي قدره وصوره جسداً من غير جنس البشر، بل **(مِنْ تُرَابٍ)** فعلمنا أن تفسير مثل عيسى كونه خلقه من جنس البشر من أم فقط بغير أب، فمثل عيسى أقل غرابة من هذه الجهة وإن كان أغرب من حيث إنهم لم يعهدوا مثله، فلذلك كان مثل آدم مثلاً له موضحاً لأنه مع كونه أغرب اشهر (وعبر بالتراب دون الماء والطين والحمأ وغيره كما في غير هذا الموطن، لأن التراب أغلب أجزائه ولأن المقام لإظهار العجب، وإبداع ما أسكنه أنواع الأنوار بالهداية والعلوم الباهرة من التراب الذي هو أكثف الأشياء أغرب كما أن تغليب ظلام الضلال على الشياطين من كونهم من عنصر نير أعجب[١٩]

وقد تقدم تفسير العبارة إلا أنه كان الظاهر أن يقول هنا:﴿ **ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴿٥٩﴾ ﴾ ولكنه قال: فيكون لتصوير الحال الماضية، كما يقول أهل المعاني في وضع المضارع موضع الماضي أحيانا. وخطر لي الآن أنه يجوز أن تكون كلمة التكوين مجموع كن فيكون والمعنى: ثم قال له كلمة التكوين التي هي عبارة عن توجه الإرادة إلى الشيء ووجوده بها حالا، ويظهر هذا في مثل قوله ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴿٧٣﴾ ﴾[٢٠] ولو كان القول للتكليف لم يظهر هذا ؛ لأن قول التكليف من صفة الكلام، وقول التكوين من صفة المشيئة، ولعل من تأمله حق التأمل لا يجد عنه منصرفا. والعطف بـ (ثم) لبيان التكوين الآخر يفيد تراخيه وتأخره عن الخلق الأول[٢١]

٣ــ قوله تعالى في سورة البقرة﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴿٣٦﴾ ﴾[٢٢] وقوله تعالى في سورة الأعراف﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴿٢٠﴾ ﴾[٢٣] وقوله تعالى في سورة طه﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى** ﴿١٢٠﴾ ﴾[٢٤]

قال البقاعي: وحكمة ذلك أي نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسببه، إن الله عز وجل يعطي عباده الخير بواسطة وبلا واسطة ولا ينالهم شر إلا بواسطة نفس، كما وقع من الإباء للشيطان، فكانت خطيئته في ذات نفسه أو بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم، فكانت خطيئته ليست من ذات نفسه وعارضةً عليه من قبل عدو تسبب له بأدنى مأمنه من زوجه التي هي من أدنى خلقه فمحت التوبة الذنب العارض لآدم وأثبت الإصرار الإباء النفساني للشيطان؛ وذكر الحق تعالى الإزلال منه باسمه الشيطان لا باسمه إبليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة التي تقبل التلافي ولما في معنى الإبلاس من قطع الرجاء، فكان في ذلك بشرى استدراك آدم بالتوبة[٢٥]

تحرير محل الإشكال: جاءت الوسوسة في البقرة بقوله(**فَأَزَلَّهُمَا**) أما في الأعراف وطه(**فَوَسْوَسَ**) وتعدى فعل الوسوسة في سورة الأعراف باللام "لهما" وتعدى في طه بـــــ " إليه"؛ فالله تعالى أخبر في كتابه الكريم أن الشيطان أزلّ آدم وزوجته أي أبعدهما عن الجنة وقد شرح الله تعالى لنا أن ذلك تمّ عن طريق الوسوسة كما في سورة الأعراف وطه وأن هذه الوسوسة كانت وعودا كاذبة ذكرها إبليس لآدم (عليه السلام)، فوسوسة الشيطان للبشر هي ما يجدونه في أنفسهم من الخواطر الرديئة التي تزين لهم ما يضرهم في أبدانهم أو أرواحهم ومعاملاتهم.

دفع الإشكال:

لما تقدم في آية البقرة قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴿٣٥﴾ ﴾[٢٦] إلى قوله: ﴿ **فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ** ﴿٣٨﴾ ﴾ ولم يرد فيها مما كان من إبليس سوى ما أخبر به تعالى عنه من قوله: (**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا**) من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل ولا ابداء علة ولا كبير معالجة ناسب هذا: "تبع "، ولما ورد في آية طه ذكر الكيفية في إغوائه بقوله له: (**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**) وقد حصل في هذا الإشارة إلى ما بسط من قوله في الأعراف: **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴿٢٠﴾[٢٧] وقسمه على ذلك فكان هذه كله قد تحصل مذكورا في آية طه بما تضمنته من الإشارة إليه، فأفهمت الآية قوة كيد اللعين واستحكام حيلته حتى احتنك الكثير من ذريته[٢٨]

ويؤيد هذا ما قاله الإمام ابن عاشور:" وهذا التفصيل لإلقاء الشيطان كيده انفردت به آية سورة الأعراف عن آية سورة البقرة؛ لأن هذا خطاب شامل للمشركين وهم أغنياء عن العلم بذلك، فناسب تفظيع أعمال الشيطان بمسمع منه... وتعدية فعل (وسوس) هنا بحرف (إلى) وباللام في سورة الأعراف (**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ** باعتبار كيفية تعليق المجرور بذلك الفعل

في قصد المتكلم، فإنه فعل قاصر لا غنى له عن التعدية بالحرف، فتعديته بحرف (إلى) هنا باعتبار انتهاء الوسوسة إلى آدم وبلوغها إياه، وتعديته باللام في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما[٢٩]

٤ــ مشكل السياق في الآيات التي ذكرت إرسال نوح إلى قومه (عليه السلام): في قوله تعالى في سورة يونس﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ** ﴿٧١﴾ ﴾[٣٠] وفي سورة الأعراف﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴿٥٩﴾ ﴾[٣١] وفي سورة هود بالواو﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴿٢٥﴾﴾[٣٢]

تقدم ذكر خلاصة من هذه القصة في سورة يونس مختصرة مبدوءة بقوله – تعالى –: **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ)**، وبينت في تفسيرها نكتة هذا العطف فيها، ووجه اتصال الكلام بما قبله فكان متمما وشاهدا له، وتقدمت قبل ذلك في سورة الأعراف مختصرة أيضا مبدوءة بقوله – تعالى –: **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ)** وأشرت في تفسيره إلى وجه التناسب واتصال الكلام بما جاء في أول السورة من ذكر بعثة الرسل عامة. وقد جاءت في هذه السورة مفصلة مناسبة لما قبلها بما نبينه فيما يلي فنقول:– **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ)** قال المعربون من المفسرين: إن الواو هنا للابتداء، أي لأن معنى الجملة لا يشترك مع ما قبله بما يصح جعلها معطوفة عليه.

قال البقاعي:" أي خبره العظيم مذكراً بأول كون الفلك وأنه كان إذ ذاك آية غريبة خارقة للعادة عجيبة، وأن قوم نوح لم ينفعهم ذلك ولا أغنى عنهم افتراءهم وعنادهم مع تطاول الأمد وتباعد المدد، بل صار أمرهم إلى زوال، وأخذ عنيف ونكال {كأن لم يلبثوا إلاّ ساعة من النهار يتعارفون بينهم} مع نجاة رسولهم وخيبة مأمولهم، قد لبث فيهم ما لم يلبثه نبي في قولهم ولا رسول في أمته ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وما آمن معه إلاّ قليل[٣٣]

تحرير محل الإشكال:

وأقول: إن هذا سياق جديد في السورة، أكد به ما قبله من الدلائل على أصول الدين من التوحيد والبعث والنبوة، فهو يشترك معه في جملته لا مع آخر آية منه، وعندي أن هذه القصة معطوفة على ما في أول هذه السورة من ذكر بعثة محمد رسول الله وخاتم النبيين – صلى الله عليه وسلم – بمثل ما بعث به من قبله من الدعوة إلى عبادة الله وحده، وبعثه نذيرا وبشيرا، والإيمان بالبعث والجزاء ؛ ليعلم قومه أنه – صلى الله عليه وسلم – ليس بدعا من الرسل، وأن حاله معهم كحال من قبله من الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم إجمالا وتفصيلا، كما

قال في سورة الإسراء: ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[٣٤] فكأنه قال: لقد أرسلناك يا محمد إلى قومك وإلى الناس كافة بما تقدم بيان أصوله، ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه بمثل ما أرسلناك

دفع الإشكال

وأشار إلى هذا الإمام الكرماني فقال:" آية الأعراف لم يتقدم فيها ذكر رسول فيكون هذا عطفا عليه بل هو استئناف كلام، أما في سورة هو فقد تقدم ذكر الرسول في أكثر من موضع من أول السورة، وفي سورة المؤمنون تقدم ذكر نوح ضمن في قوله﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ لأنه أول من صنع الفلك، فعطف في السورتين بالواو[٣٥]

وقد وضحت الدكتورة عواطف خياط هذا المعنى في رسالتها الموسومة بـ" رسالة بناء المعاني وعلاقتها في سورة الأعراف":" سورة الأعراف جاءت على الأصل وهو الفصل، وذلك لأن الآيات المتقدمة على قوله تعالى في سورة الأعراف(**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ**) تختص بالحديث عن الآيات الكونية في الأرض والسماء والرياح والنبات والأمطار دون ذكر بعثة نبي أو رسالة رسول، فصار كالأجنبي عن الأول فلم يعطف عليه بل استؤنف ابتداء كلام ليدل على أنه في حكم المنقطع من الأول، لا سيما عندما طال الأمد بين ذلك وبين قصة نوح، كما أن سورة الأعراف كانت أول سورة ذكرت فيها قصة نوح(عليه السلام)، وقصة نوح كانت أول القصص فيها، لذلك ذكرت بغير عطف كما أن قومه كانوا أول أمة[٣٦]

الهوامش:

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٤٢٤/٢

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ١١٧/٣

(٣) الصحاح، للجوهري، ١٥٠٠/٤

(٤) أساس البلاغة، الزمخشري، ص٣١٤

(٥)دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير. دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، (١٤٢٠ه، ١٩٩٩م) ص ٦٢،

(٦) نظرية السياق دراسة تأصيلية دلالية نقدية، د/ المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، ط(٢٠٠٨م)، ص١٥

(٧)دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى –عليه السلام –دراسة نظرية تطبيقية، فهد بن شتوي الشتوي رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، ص ٢٧.

(٨)أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، محمد بن عبد الله الربيعة، رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض(١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م) ص ١٩.

(٩) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/١

(١٠) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢٠٠/٢

(١١) الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي، دار النصيحة للنشر، ط(د.ت)، ص١١١

(١٢)دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، لعبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، دار عمار، ٢٠١٢م، (ص ٨٨)

(١٣) سورة البقرة، الآية(٣٦)

(١٤) سورة البقرة، الآية(٣٨)

(١٥) نظم الدرر، ٢٩٠/١

(١٦) محاسن التأويل، للقاسمي، ٣٢٥/١

(١٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٤٤١/١

(١٨) سورة آل عمران، آية٥٩

(١٩) نظم الدرر، للبقاعي، ٤٢٦/٤

(٢٠) سورة الأنعام، آية٧٣

(٢١) تفسير المنار، رشيد رضا ٢٦٣/٣

(٢٢) سورة البقرة، آية٣٦

(٢٣) سورة الأعراف، آية٢٠

(٢٤) سورة طه، آية١٢٠

(٢٥) نظم الدرر، للبقاعي ٢٨٩/١

(٢٦) سورة البقرة، آية٣٥

(٢٧) سورة الأعراف، آية٢٠

(٢٨) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، للغرناطي، ٣١/١

(٢٩) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٢٥/١٦

(٣٠) سورة يونس، آية٧١

(٣١) سورة الأعراف، آية٥٩

(٣٢) سورة هود، آية٢٥

(٣٣) نظم الدرر، للبقاعي ١٦٢/٩

(٣٤) سورة الإسراء، آية٧٧

(٣٥) البرهان في توجيه متشابه القرآن، الكرماني، ص١٢١

(٣٦) رسالة بناء المعاني وعلاقتها في سورة الأعراف، د/ عواطف خياط، ص١٧٣

قائمة المصادر والمراجع:

١ــ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(١٣٩٤ه، ١٩٧٤م)

٢ــ أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض(١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م)

٣ــ أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤ــ الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، ط(د.ت)

٥ــ أدلة التشريع المتعارضة ووجوه الترجيح بينها، د/ بدران أبو العينين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط(١٩٧٤م)

٦ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط(د.ت)

٧ــ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق/ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١(١٤١٩ه، ١٩٩٩م)

٨ــ أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق/ محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١(١٤١٩ه، ١٩٩٨م)

٩ــ أسباب اختلاف الفقهاء، علي الخفيف، دار الفكر العربي، ط(د.ت)

١٠ــ الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، الدار الفنية، القاهرة، ط(١٩٩٠م)

١١ــ أصول السرخسي، للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط(د.ت)

١٢ــ الأضداد في كلام العرب، أبي الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي ابو الطيب اللغوي المجمع العلمي العربي بدمشق، ط(٢٠١٧م)

١٣ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هــ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ط(١٤١٥ هــ – ١٩٩٥ م)

١٤ــ إظهار العصر لأسرار أهل العصر، البقاعي، تحقيق/ محمد سالم شديد العوفي، العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط(١٤١٢ه، ١٩٩٢م)

١٥ــ الاعتصام، للشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هــ)، تحقيق/ سليم بن عبد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١(١٤١٢ه، ١٩٩٣م)

١٦ــ إعراب القرآن وبيانه، الدرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هــ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، الطبعة: الرابعة،١٤١٥ هــ

١٧ــ إعراب القرآن، لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت: ٤٥٨هــ)، تحقيق/ فائزة بنت عمر المؤيد، ط(١٤١٥هــ، ١٩٩٥م)،

١٨ــ الأعلام للزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هــ)، دار العلم للملايين، ط٥(٢٠٠٢م)

١٩ــ الأعمال الكاملة للأفغاني ومحمد عبده للدكتور محمد عمارة، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١(٢٠١٦م)